

المرأة في الخطاب القرآني ... مواضع ودلالات : دراسة موضوعية

د. اسمهان يوسف عبدالله السعود

استاذ مساعد بكلية البحرين للمعلمين،

قسم اللغة والدراسات الاسلامية ، جامعة البحرين ، البحرين

Dr.ismahan.alsaud@gmail.com

قبول البحث: 08/03/2021

مراجعة البحث: 07/03/2021

استلام البحث: 22/12/2021

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة التعرف إلى المواضع التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها وبيان دلالتها، وتحديد أهم القيم التربوية العالية والحقوق الشرعية السامية في المواضع التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها، وتحديد التطبيقات التربوية الخاصة والفوائد التربوية العامة مما يهم المرأة، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في تحقيق أهدافها، وأظهرت الدراسة في المطلب الأول وجود أربعة عشر موضعاً ذكر القرآن الكريم المرأة فيها، تم عرضها بشكل متسلسل حسب ترتيبها في القرآن الكريم وبيان دلالة كل موضع منها على حدة، كما توصلت الدراسة في المطلب الثاني إلى تحديد أهم القيم والفوائد والتطبيقات التربوية لكل موضع من المواضع التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها، وتختتم الدراسة بتقديم عدد من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الخطاب القرآني.

Women in the Qur'anic discourse ... Positions and connotations: An objective study

Abstract:

The study aimed to identify the places in which the Holy Qur'an mentioned women and their significance, and to determine the most important high educational values and lofty legal rights in the places in which the Holy Qur'an mentioned women, and to determine the specific educational applications and general educational benefits that concern women, and the study adopted the descriptive-analytical approach. In achieving its goals, the study showed in the first requirement that there are fourteen mentioned places. The Noble Qur'an, the woman in it, was shown in a sequential manner, according to their arrangement in the Holy Qur'an and indicating the significance of each position separately. The study also concluded in the second requirement to identify the most important values, benefits and educational applications for each of the positions in which the Holy Qur'an mentioned women. The study concludes with a number of recommendations and suggestions.

Keywords: women, Quranic discourse.

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات القائل في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽¹⁾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الخلق أجمعين المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

إن الخطاب القرآني هو من كلام الله موجهاً في معظمه إلى من شهدوا نزول القرآن بشكل خاص مباشر للرسول صلى الله عليه وسلم، وبشكل عام لسائر الناس⁽²⁾، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁽³⁾. خاطب النص القرآني الرجل والمرأة على مستوى واحد من الخطاب التكريمي، لما للمرأة والرجل من قيمة إنسانية، ويقرّ القرآن بالولاية المتبادلة بينهما، فالرجل مسؤول عن رعاية المرأة، ويجعل المرأة مسؤولة عن رعاية الرجل⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽⁵⁾. لقد خصت المرأة في القرآن الكريم باهتمام كبير منذ نشأة النوع البشري، وخاطبها القرآن أكرم خطاب، وأعزها أعظم إعزاز، فتحدث عن مكانتها في التصور الديني وفي الأسرة وفي المجتمع وسائر العلاقات الاجتماعية، كما تحدث القرآن عن نماذج نسائية وحملت ثاني أطول سورة في القرآن اسم (سورة النساء) وتجاوزت الآيات التي خصت بالحديث عن النساء مائتين وخمسين آية⁽⁶⁾. وقد ذكر القرآن الكريم المرأة في مواضع كثيرة منه، جاء بعضها لغرض تشريعي، وبعضها الآخر جاء ضمن قصة، كما أن بعضها جاء منفرداً بذكر المرأة، بينما ورد بعضها الآخر لذكر الرجل، لذا حاولت الباحثة في هذه الدراسة إلقاء الضوء على تلك المواضع وبيان دلالتها.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

إن توجيه الخطاب للمرأة في النصوص القرآنية حظي بأسلوب إلهي خاص جدير بالدراسة استناداً إلى ظواهر النصوص وبواطنها، وتحديد المواضع التي ذكرت فيها المرأة وبيان دلالتها، ويمكن بلورة مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

- ما المواضع التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها وما دلالتها؟
- ما القيم التربوية العالية والحقوق الشرعية السامية في المواضع التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها؟
- ما التطبيقات التربوية الخاصة والفوائد التربوية العامة مما يهم المرأة؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- التعرف إلى المواضع التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها وبيان دلالتها.
- تحديد أهم القيم التربوية العالية والحقوق الشرعية السامية في المواضع التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها.
- تحديد التطبيقات التربوية الخاصة والفوائد التربوية العامة مما يهم المرأة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

- تكمن أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع الذي تدرسه وهو المرأة كونها تُشكّل أحد ركني مجتمع يمرّ بمعطيات ثقافية واجتماعية.

- تفيد في توضيح القيم والتطبيقات والفوائد التربوية في خطاب القرآن الكريم للمرأة وتعزيزها لها ومكانتها.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على تحديد مواضع خطاب المرأة في القرآن الكريم ودلالاتها، والقيم والفوائد التربوية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في تحقيق أهدافها وتحديد المواضع القرآنية التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها وبيان دلالاتها، وأهم القيم التربوية العالية والحقوق الشرعية السامية، والتطبيقات التربوية الخاصة والفوائد التربوية العامة المتعلقة بها.

تمهيد:

لقد خاطب القرآن الكريم المرأة في مواطن كثيرة، جاء بعضها لغرض تشريعي، وبعضها الآخر جاء ضمن قصة، كما أن بعضها جاء منفرداً بذكر المرأة، بينما ورد بعضها الآخر لذكر الرجل. ويحصر الآيات التي خاطبت المرأة في القرآن الكريم نجد إنها جاءت في أربعة عشر موضعاً، موزعة على عشر سورٍ من سور القرآن الكريم.

المطلب الأول: المواضع التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها وبيان دلالاتها:

يتناول هذا الجزء من الدراسة المواضع الأربعة عشر التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها، وقامت الباحثة بعرضها متسلسلة حسب ترتيبها في القرآن الكريم وهذه المواضع على النحو الآتي:

الموضع الأول: امرأت عمران: اصطفاء الله تعالى لرسله ولآل عمران عليهم السلام.

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) [آل عمران: 33-37]}. يخبر الله تعالى باختيار من اختاره من أوليائه وأصفياه وأحبابه، فأخبر أنه اصطفى آدم عليه السلام وهو أبو البشر كلهم، فاختاره على سائر المخلوقات، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه جنته، وأعطاه من العلم والحلم والفضل ما فاق به سائر المخلوقات ولهذا فضل بنيه، فقال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: 70].

واصطفى نوحاً عليه السلام، فجعله أول رسول إلى أهل الأرض حين عبدت الأوثان، واتصف بالصبر والاحتمال والشكر والدعوة إلى الله في جميع الأوقات، وأغرق الله أهل الأرض بدعوته، ونجاه ومن معه في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، وترك

عليه ثناء يذكر في جميع الأحيان والأزمان، واصطفى آل إبراهيم، وهو إبراهيم عليه السلام، خليل الرحمن الذي اختصه الله بخلته، وأبو الأنبياء، ودعا ربه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، وجعله الله أسوة يقتدي به من بعده، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (1). [العنكبوت: 27].

ويدخل في آل إبراهيم جميع الأنبياء الذين بعثوا من بعده لأنهم من ذريته، ومنهم سيد ولد آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى جمع فيه الكمال ففاق (ص) الأولين والآخرين، فكان سيد المرسلين المصطفى من ولد إبراهيم عليه السلام. واصطفى الله آل عمران وهو والد مريم عليها السلام، فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، "أي مختارين" (7). "واصطفاه هؤلاء إنما هو اصطفاء لدينهم، وهو دين الإسلام، اصطفاه الله على سائر الأديان" (8). ولما ذكر فضائل هذه البيوت الكريمة ذكر ما جرى لمريم والدة عيسى وكيف لطف الله بها في تربيتها ونشأتها، فقال: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا}، أي: جعلت ما في بطني خالصاً لوجهك، محرراً لخدمتك وخدمة بيتك، أي بيت المقدس، {فَتَقَبَّلَ مِنِّي} هذا النذر {إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}، أي: تسمع دعائي وتعلم نيتي وقصدي، هذا وهي في البطن قبل وضعها. {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى} كأنها تشوقت أن يكون ذكراً ليكون أقدر على الخدمة وأعظم موقفاً، فالأنثى لا تصلح لذلك بسبب ما يجري عليها من أمور طبيعية، "ففي كلامها [نوع] عذر من ربها" (9)، فقال تعالى: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ}، أي: لا يحتاج إلى إعلامها، بل علمه متعلق بها قبل أن تعلم أمها ما هي {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ}، "وفي هذا دلالة على تفضيل الذكر على الأنثى، وعلى التسمية وقت الولادة، وعلى أن للأُم تسمية الولد إذا لم يكره الأب" (10) {وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}، فدعت هنا والدة مريم عليها السلام ولذريتها أن يعيدهم الله من الشيطان الرجيم، "وفي الآية إشعار بأن الله تعالى أوحى إليها أن هذه المولودة سيكون لها ولذريتها شأن عظيم" (11)، {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا}، وقد استجاب الله تعالى دعاءها وتضرعها، وأجارها وذريتها من الشيطان الرجيم، كما قال النبي: "ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه" (12). "تقبل الله عز وجل نذر أم مريم بقبول حسن وأنبتتها نباتاً حسناً، والحسن في الموضعين عام، فيشمل كل ما يطلق عليه هذا الاسم، من شكل مليح ومنظر بهيج، وتيسير أسباب القبول، والصحة الصالحة الدالة على الخير والعلم والدين" (13)، فنبئت نباتاً حسناً في بدننها وخلقها وأخلاقها، وكان من تمام ذلك أن جعل الله تعالى نبيه زكريا عليه السلام كافلاً لها، لتقتبس من علمه وصلاحه، ولأنه كان زوج خالتها، كما ورد عن النبي أنه قال: "فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة" (14). فنشأت في عبادة ربها، وانقطعت للعبادة، ولزمت محرابها، فكان {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا}، تتغذى به، "قيل كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء" (15)، فهو رزق من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله تعالى من يشاء من عباده؛ فيقول لها زكريا {قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا}، فضلاً وإحساناً {قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، فلما رأى زكريا عليه السلام ما من الله به على مريم عليها السلام، طمعت نفسه بالولد، فدعا ربه بالولد.

(1) لقد وردت العبارة نفسها عنه وعن نوح عليهما السلام، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد، 26].

الموضع الثاني: مريم ابنت عمران: اصطفاء الله تعالى لمريم عليها السلام:

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَاهُمْ أَيْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) } [آل عمران: 42-47].

بعد أن بيّن الله تعالى اصطفاء من شاء من عباده وآلهم وذريتهم على العالمين، وذكر أنّ منهم آل عمران، وذكر اصطفاء وإكرام مريم عليها السلام، يخبر الله تعالى أن الملائكة بشرت مريم عليها السلام بأعظم بشارة، وهو عيسى عليه السلام، الذي كلم الناس ودعاهم إلى عبادة الله تعالى وهو في المهد رضيع؛ كما قال النبي: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى.."⁽¹⁶⁾، وكان في هذا من النعمة العظيمة والمنحة الجسيمة ما يوجب لها القيام بشكرها، فلماذا قالت لها الملائكة: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ}، والقنوت دوام الطاعة في خضوع وخشوع؛ {وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}، خص السجود والركوع لفضلهما ودلالتهما على غاية الخضوع لله، ففعلت مريم، ما أمرت به شكرًا لله تعالى وطاعة؛ و{قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ}، والولد في العادة لا يكون إلا من مس البشر، وهذا استغراب منها، لا شك في قدرة الله تعالى: {قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، فأخبرها أن هذا أمر خارق للعادة، خلقه من يقول لكل أمر أراد: كن، فيكون، فمن تيقن ذلك زال عنه الاستغراب والتعجب، ومن حكمة الباري تعالى أن تدرج بأخبار العباد من الغريب إلى ما هو أغرب منه، فذكر وجود يحيى بن زكريا بين أبوين أحدهما كبير والآخر عاقر، ثم ذكر أغرب من ذلك وأعجب، وهو وجود عيسى عليه السلام من أم بلا أب ليدل عباده أنه الفعال لما يريد"⁽¹⁷⁾.

الموضع الثالث: زوجة إبراهيم "تبشير الملائكة إبراهيم وزوجه عليهما السلام بالولد".

قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَتَبَسَّرْنَا بِهَا يَاسْحَقُ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73) } [هود: 69-73].

تستعرض هذه الآيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أضيافه من الملائكة قبل ذهابهم إلى قوم لوط لتعذيبهم، وتبشيره عليه السلام بولده إسحاق عليه السلام، فقد جاءت الملائكة الكرام إبراهيم عليه السلام؛ و"كانوا جبريل وملاكين آخرين؛ وقيل: إن الملكين الآخرين كانا ميكائيل وإسرافيل، وحملوا له البشري؛ واختلفوا في تلك البشارة التي أتوه بها؛ فقال بعضهم: هي البشارة بإسحاق؛ وقال آخرون: هي البشارة بهلاك قوم لوط"⁽¹⁸⁾. فلما دخلوا عليه سلموا عليه، ورد عليهم السلام.

"ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام قبل الكلام، وأنه ينبغي أن يكون الرد، أبلغ من الابتداء، لأن سلامهم بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية"⁽¹⁹⁾. فما لبث إبراهيم عليه السلام لما دخلوا عليه بادر لبيته، فاستحضر لضيوفه عجلاً

مشوياً، فقربه إليهم فقال: ألا تأكلون؟ وظن أنهم أتوه بشراً ومكروه، وذلك قبل أن يعرف أمرهم. فقالوا له: إنا رسل الله، أرسلنا الله لإهلاك قوم لوط. وكانت امرأة إبراهيم سارة عليها السلام قائمة تخدم أضيافه، فضحكت حين سمعت بحالهم، وما أرسلوا به، تعجبا. "وربما كان ضحكها ابتهاجاً لهلاك القوم الملوئين"⁽²⁰⁾ فبشرتها الملائكة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب عليهما السلام، "وكانت عقيماً لم تلد، وقد أصبحت عجوزاً، ففاجأتها بشرى بإسحاق، وهي بشرى مضاعفة بأن سيكون لإسحاق عقب من بعده هو يعقوب"⁽²¹⁾، فتعجبت من ذلك، وقالت: كيف ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً، فهذان مانعان من وجود الولد، فقالت لها الملائكة: أتعجبين من أمر الله، فإن أمره لا عجب فيه، لنفوذ مشيئته التامة.

الموضع الرابع: يوسف عليه السلام وامرأة العزيز.

قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِئَلَّعَلَّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً وَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ اخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونُ مِنَ الصَّاغِرِينَ (32) } [يوسف: 21-32].

لما ذهبت القافلة بيوسف عليه السلام إلى مصر وباعوه بها، اشتراه عزيز مصر، "كَانَ اسْمُهُ قُطْفِيرٌ؛ وَقِيلَ: إِنَّ اسْمَهُ إِطْفِيرُ بْنُ رُوْحَيْبٍ، وَكَانَ عَلَى خَزَائِنِ مِصْرَ، وَكَانَ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الرَّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ، رَجُلٌ مِنَ الْعَمَالِيْقِ"⁽²²⁾. فلما اشتراه، أعجب به، ووصى عليه امرأته وقال: {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} أي: إما أن ينفعنا كنفع العبيد بأنواع الخدم، وإما أن نستمتع فيه استمتاعنا بأولادنا، ولعل ذلك أنه لم يكن لهما ولد⁽²³⁾، {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ}، أي: كما يسرنا له أن يشتريه عزيز مصر، ويكرمه هذا الإكرام، جعلنا هذا مقدمة لتمكينه في الأرض من هذا الطريق. {وَلِئَلَّعَلَّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} أي: إذا بقي لا شغل له ولا هم له سوى العلم صار ذلك من أسباب تعلمه علماً كثيراً، من علم الأحكام، وعلم التعبير، وغير ذلك. {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}، أي: أمره تعالى نافذ، لا يبطله مبطل، ولا يغلبه مغالب، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}، فلذلك يجري منهم ويصدر ما يصدر، في مغالبة أحكام الله القدريّة، وهم أعجز وأضعف من ذلك. {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}، "أي: ولما بلغ يوسف كمال قوته المعنوية والحسية، وصلاح لأن يتحمل الأحمال الثقيلة، من النبوة والرسالة جعلناه نبياً رسولاً وعالماً ربانياً، {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}، أي: في عبادة الخالق ببذل الجهد والنصح فيها، وإلى عباد الله ببذل النفع والإحسان إليهم، نؤتيهم من جملة الجزاء على إحسانهم علماً نافعا. ودل هذا، على أن يوسف وقى مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس والعلم الكثير والنبوة"⁽²⁴⁾.

{وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقْتُ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} (24) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29) } [يوسف، 23-29].

مكرما في بيت عزيز مصر، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن {وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ}، أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر. "والمراودة: مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى: خادعته عن نفسه، أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التحمل لمواقفته إياها" (25). وزادت المصيبة، بأن {وَعَلَّقْتُ الْأَبْوَابَ}، وصار المحل خاليا، وهما آمان من دخول أحد عليهما، بسبب تغلق الأبواب، وقد دعت به نفسها {وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ}، أي: أفعّل الأمر المكروه وأقبل إليّ، ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عذب، وقد توعده، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم. فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، "ورأى من برهان ربه" (26)؛ وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لترك كل ما حرم الله؛ ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، "همته لم تكن من جهة العزيمة، وإنما كانت من دواعي الشهوة بقوله: معاذ الله إنه ربي" (27)، و{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ}، أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه مما يسخط الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي. فلا يليق بي أن أقبله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح، والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما من الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم، ولما امتنع من إجابة طلبها بعد المراودة الشديدة، ذهب ليهرب منها ويبادر إلى الخروج من الباب ليتخلص، ويهرب من الفتنة، فبادرت إليه، وتعلقت بثوبه، فشقت قميصه، فلما وصلا إلى الباب في تلك الحال، ألقيا سيدها، أي: زوجها لدى الباب، فرأى أمرا شق عليه، فبادرت إلى الكذب أن المراودة قد كانت من يوسف، وقالت: {مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا}، أي: ولم تقل "من فعل بأهلك سوءا" تبرئة لها وتبرئة له أيضا من الفعل، وإنما النزاع عند الإرادة والمراودة" (28).

{إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، أي: أو يعذب عذابا أليما. فبرأ نفسه مما رمت به، وقال: {هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي}، فحينئذ احتملت الحال صدق كل واحد منهما ولم يعلم أيهما. ولكن الله تعالى جعل للحق والصدق علامات وأمارات تدل عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمن الله في هذه القضية بمعرفة الصادق منهما، تبرئة لنبيه وصفية يوسف عليه السلام، فانبعث شاهد من أهل بيتها، يشهد بقرينة من وجدت معه، فهو الصادق، فقال: {إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}، لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها، المراد لها المعالج، وأنها أرادت أن تدفعه عنها، فشقت قميصه من هذا الجانب. {وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ}، "لأن ذلك يدل على هروبه منها، وأنها هي التي طلبته فشقت قميصه من

هذا الجانب. {فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ}، عرف بذلك صدق يوسف وبرأته، وأنها هي الكاذبة. فقال لها سيدها: {إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ}، وهل أعظم من هذا الكيد، الذي برأت به نفسها مما أرادت وفعلت، ورمت به نبي الله يوسف عليه السلام. ثم إن سيدها لما تحقق الأمر، قال ليوسف: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}، أي: اترك الكلام فيه وتناسه ولا تذكره لأحد، طلباً للستر على أهله، "وَلَا تَذْكُرْهُ" (29) {وَاسْتَغْفِرِي}، أي: أيتها المرأة {لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} "فأمر يوسف بالإعراض، وهي بالاستغفار والتوبة" (30).

{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}، "يعني: أن الخبر اشتهر وشاع في البلد، وتحدث به النسوة فجعلن يلمنها، ويقلن: {امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا}، أي: هذا أمر مستقبح، هي امرأة كبيرة القدر، وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها عن نفسه، ومع هذا فإن حبه قد بلغ من قلبها مبلغاً عظيماً. {قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا}، أي: وصل حبه إلى شغاف قلبها، وهو باطنه وسويداؤه، وهذا أعظم ما يكون من الحب، "ويقال دخل حبه في شغاف قلبها وهو موضع الدم الذي يكون داخل القلب" (31) {إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}، حيث وجدت منها هذه الحالة التي لا تتبغي منها، وهي حالة تحط قدرها وتضعه عند الناس، وكان هذا القول منهن مكرًا، ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز لتحقق امرأة العزيز، وتريهن إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكرًا، فقال: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاعِرِينَ (32) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34) ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (35) {يوسف: 31-35}. {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ}، أي: تدعون إلى منزلها للضيافة؛ {أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً}، أي: محلاً مهياً بأنواع الفرش والوسائد، وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة، وكان في جملة ما أتت به وأحضرتة في تلك الضيافة، طعام يحتاج إلى سكين، إما أترج، أو غيره، {وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا}، ليقطعن فيها ذلك الطعام {وَقَالَتِ} ليوسف: {اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ}، في حالة جماله وبهائه {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ}، أي: أعظمته في صدورهن، ورأين منظراً فائقاً لم يشاهدن مثله، {وَقَطَّعْنَ}، من الدهش {أَيْدِيَهُنَّ} بتلك السكاكين اللاتي معهن، {وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ}، أي: تنزيها لله {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}؛ وذلك أن يوسف أعطي من الجمال الفائق والنور والبهاء، ما كان به آية للناظرين، وعبرة للمتأملين.

فلما تقرر عندهن جمال يوسف الظاهر، وأعجبهن غاية، وظهر منهن من العذر لامرأة العزيز، شيء كثير، أرادت أن تريهن جماله الباطن بالعفة التامة فقالت معلنة لذلك ومبينة لحبه الشديد غير مبالية، ولأن اللوم انقطع عنها من النسوة: {وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ}، أي: امتنع (32)، وهي مقيمة على مروادته، لم يزلها مرور الأوقات إلا قلقاً ومحبة وشوقاً لوصاله وتوقاً. و لهذا قالت له بحضرتهم: {وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاعِرِينَ}، لتلجئه بهذا الوعيد إلى حصول مقصودها منه، فعند ذلك اعتصم يوسف بربه، واستعان به على كيدهن {وَقَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}، وهذا يدل على أن النسوة، يشرن على يوسف في مطاوعة سيده، وجعلن يكندن في ذلك. فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد، {وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ}، "أي: أمل إليهن، فإني ضعيف عاجز، إن لم تدفع عني السوء، {وَأَكُنَّ} إن صبوت إليهن {مِنَ الْجَاهِلِينَ}، فإن هذا جهل، لأنه أثر لذة قليلة منغصة، على لذات متتابعات وشهوات متنوعات

في جنات النعيم، ومن أثر هذا على هذا، فمن أجهل منه!! فإن العلم والعقل يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللذتين، ويؤثر ما كان محمود العاقبة {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ} حين دعاه {فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ}، فلم تزل تراوده وتستعين عليه بما تقدر عليه من الوسائل، حتى أياسها، وصرف الله عنه كيدها، {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ}، لدعاء الداعي {الْعَلِيمُ} ببنيته الصالحة، وبنيته الضعيفة المقتضية لإمداده بمعونته ولطفه. فهذا ما نجى الله به يوسف من هذه الفتنة الملمة والمحنة الشديدة، وأما أسياده فإنه لما اشتهر الخبر وiban، وصار الناس فيها بين عاذر ولائم وقادح، {ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ} أي: ظهر لهم {مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا آيَاتِ} الدالة على براءته، {لَيْسَ جُنَّتْ حَتَّى حِينَ}، أي: لينقطع بذلك الخبر ويتناساه الناس، فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر ويشاع مع وجود أسبابه، فإذا عدمت أسبابه نسي، فرأوا أن هذا مصلحة لهم، فأدخلوه في السجن⁽³³⁾. "وقيل جعل الله ذلك الحبس ليوسف فيما ذكر عقوبة له من هممه بالمرأة وكفارة لخطيئته"⁽³⁴⁾.

الموضع الخامس: النبي يوسف عليه السلام وامرأة عزيز مصر

قال تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} (50) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53) { [يوسف: 50-53].

يقول تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ}، أي: قال الملك لمن عنده أن يحضروا له يوسف عليه السلام، بأن يخرجوه من السجن ويحضروه إليه، فلما جاء يوسف الرسول وأمره بالحضور عند الملك، امتنع عن المبادرة إلى الخروج، حتى تتبين براءته التامة، وهذا من صبره وعقله ورأيه التام {قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} أي: قال للرسول: قل للملك واسأله: ما شأنهن وقصتهن، فإن أمرهن ظاهر متضح {إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ} فأحضرهن الملك، وقال: {مَا خَطْبُكُنَّ} أي: شأنكن {إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ} فهل رأيتم منه ما يريب؟ فبرأته و{قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} أي: لا قليل ولا كثير، فحينئذ زال السبب الذي تتبني عليه التهمة، ولم يبق إلا ما عند امرأة العزيز، ف{قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ} أي: "ذهب الباطل والكذب، فانقطع وتبين الحق فظهر"، بعد ما كنا ندخل معه من السوء والتهمة، ما أوجب له السجن {أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} في أقواله وبرأته.

{ذَلِكَ} الإقرار، الذي أقرته {أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ}. {لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} يحتمل أن مرادها بذلك زوجها أي: ليعلم أي حين أقرت أنني راودت يوسف، أنني لم أخنه بالغيبة، أي: لم يجر مني إلا مجرد المراودة، ولم أفسد عليه فراشه، ويحتمل أن المراد بذلك ليعلم يوسف حين أقرت أنني أنا الذي راودته، وأنه صادق أنني لم أخنه في حال غيبته عني. {وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} فإن كل خائن، لا بد أن تعود خيانتته على نفسه، ولا بد أن يتبين أمره⁽³⁵⁾.

{وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} (53) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56) وَلَاجِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (57)}. ثم لما كان في هذا الكلام نوع تركية لنفسها، وأنه لم يجر منها ذنب في شأن يوسف، استدركت فقالت: {إِنَّ

النَّفْسَ لَأَمَارَةً بِالسُّوءِ { أي: من المرادة والهَمّ، والحرص الشديد، والكيد في ذلك. {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ} أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان {إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي} فنجاه من نفسه الأماره، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده. {إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي: هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي، إذا تاب وأناب، {رَحِيمٌ} بقبول توبته، وتوفيقه للأعمال الصالحة. "وهذا هو الصواب أن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف، فإن السياق في كلامها، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر" (36).

الموضع السادس: رحمة الله تعالى بمريم وابنها عيسى عليهما السلام

قال تعالى: { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بِبَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا (23) فَتَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهَرَيَّ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32). { [مريم: 16 - 32].

" لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام، وأنه أوجد منه، في حال كبره وعقم زوجته ولداً زكياً طاهراً مباركاً: عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة، ولهذا ذكرهما في آل عمران وها هنا وفي سورة الأنبياء، يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى، ليدل عباده على قدرته وعظمته سلطانه، وأنه على ما يشاء قدير" (37). لقد كانت من الآيات العجيبة، انتقل منها تعالى إلى ما هو أعجب منها، تدرجاً من الأدنى إلى الأعلى فقال: {وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ} الكريم، والخطاب لمحمد، أي عرفهم قصتها ليعرفوا كمال قدرتها" (38) {مَرْيَمَ} عليها السلام، وهذا من أعظم فضائلها، أن تذكر في الكتاب العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الشاء، جزاء لعملها الفاضل، وسعيها الكامل، أي: واذكر في الكتاب مريم، في حالها الحسنة، حين {اتَّيَبَتْ} أي: تباعدت عن أهلها {مَكَانًا شَرْقِيًّا} أي: مما يلي الشرق عنهم.

{فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا} أي: سترًا ومانعاً، وهذا التباعد منها، واتخاذ الحجاب، لتعتزل، وتتفرد بعبادة ربها، وتقنت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى، ولئلا تحجبها رؤية الخلق عن أنوار الحق، وذلك امتثال منها لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)} وقوله {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} وهو جبريل عليه السلام {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} أي كاملاً من الرجال في صورة

جميلة وهيئة حسنة لا عيب فيه ولا نقص، لكونها لا تحتل رؤيته على ما هو عليه فلما رآته في هذه الحال، وهي معتزلة عن أهلها منفردة عن الناس قد اتخذت الحجاب عن أعز الناس عليها وهم أهلها.

وقد خافت أن يكون رجلاً قد تعرض لها بسوء وطمع فيها فاعتصمت بربها واستعاذت منه فقالت له {إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ}، أي ألتجئ إليه وأعتصم برحمته أن تتلاني بسوء {إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} أي: إن كنت تخاف الله وتعمل بتقواه فاترك التعرض لي فجمعت بين الاعتصام بربها وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى؛ وهي في تلك الحالة الخالية والشباب والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفة والبعد عن الشر وأسبابه، وهذه العفة - خصوصاً مع اجتماع الدواعي وعدم المانع - من أفضل الأعمال، ولذلك أثنى الله عليها فقال: {وَمَرْيَمُ ابْنْتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} فأعاضها الله بعفتها ولدا من آيات الله ورسولاً من رسله. فلما رأى جبريل منها الروح والخيفة قال: {إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ} أي إنما وظيفتي وشغلي تنفيذ رسالة ربي فيك {لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا} (39). وهذه بشارة عظيمة بالولد وإزكائه فإن الإزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة واتصافه بالخصال الحميدة.

فتعجبت من وجود الولد من غير أب فقالت {أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} "والولد لا يوجد إلا بذلك؟!!" {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ} تدل على كمال قدرة الله تعالى، وعلى أن الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيُري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية لئلا يقفوا مع الأسباب ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها، {وَرَحْمَةً مِنَّا} أي ولنجعل رحمة منا به وبوالدته وبالناس. أما رحمة الله به فلما خصه الله بوحيه ومنّ عليه بما منّ به على أولي العزم، وأما رحمته بوالدته فلما حصل لها من الفخر والثناء الحسن والمنافع العظيمة وأما رحمته بالناس فإن أكبر نعمه عليهم أن بعث فيهم رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فيؤمنون به ويطيعونه وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة {وَكَانَ} أي وجود عيسى عليه السلام على هذه الحالة {أَمْرًا مَقْضِيًّا} قضاء سابقاً فلا بد من نفوذ هذا التقدير والقضاء فنفخ جبريل عليه السلام في جيبها.

الموضع السابع: النبي موسى وأمه عليهما السلام.

قال تعالى: {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (38) أَنْ اقْضِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْضِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى (40)} [طه: 38-40].

يذكر الله تعالى موسى عليه السلام بمنته عليه قبل أن يصير رسولاً، وأنه إنما راعاه وهو صغير، ولم تفارقه عناية الله تعالى حتى بلغ أشده، واختبره للرسالة، ليزداد موسى بذلك اطمئناناً وأنساً، لأن ربه معه وهو صغير، ولن يتخلى عنه وهو اليوم رسول، "وهو سبحانه الذي أوحى إلى أمه من قبل أن تقذفه في التابوت" (40)، وتلقيه في اليم، ويلقيه اليم بالساحل فيأخذه فرعون الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل، وهو الذي ألقى عليه محبة منه هبة وعطاء "لأنه حبه إلى كل من رآه" (41)، فلم تنله يد فرعون بالضر والأذى، وهو الذي أعاده إلى أمه كي تقر عيناها ولا تحزن، ذلك حين منعه قبول الإرضاع إلا من أمه بتدبير من الله تعالى، ليعيش موسى مع أمه آمناً مطمئناً، ولتقر عيناها دون خوف من فرعون وبطشه، "فبأمره أرضعته، وعلى مرأى من فرعون وبصره ترعرع ونما" (42).

وكان ختام ذلك الامتحان أن نجاه الله تعالى من الغم الذي أصابه بسبب قتله النفس (43).

الموضع الثامن: سليمان عليه السلام وموقف ملكة سبأ من كتابه.

قال تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَقِينُ (22) وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِي أَلْقِي إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِي أَفُتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُونِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِي كَيْفَ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِي كَيْفَ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ تَزَكُّوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44) } [النمل: 20-44] .

تبدأ الآيات الكريمة بعرض حال النبي سليمان عليه السلام في تقفده لجنوده بعدما أتوا على وادي النمل فيقول سبحانه: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} فعلم سليمان بغيب الهدد فسأل متعجباً كيف يتسنى لهذا الهدد أن يغيب بغير عذر (44). ثم توعده سليمان عليه السلام فقال: {لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} فسليمان لم يجزم بتعذيبه فقط - بل خير بين ثلاثة أمور إما يعذبه أو يذبحه أو يأتي بحجة قوية - لأنه قد يكون له عز بين (45). فمكث الهدد زماناً يسيراً ثم جاء فقال لسليمان {أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَقِينُ} أي: بما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك بخبر صادق. وسبأ هم: حمير، وهم ملوك اليمن. ثم أخبره بما رأى في سبأ، وقد أتاه الله من كل متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن، وكان للملكة عرش عظيم مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر (46). ثم أخذ الهدد يحثه بما هو أعظم وأخطر فيقول للنبي لسليمان: لقد وجدت ملكة سبأ وقومها وثنيين، يعبدون الشمس ويتركون عبادة الله الواحد، وقد حسن الشيطان لهم أعمالهم القبيحة، وهي عبادة الشمس والكواكب، فمنعهم من طريق الخير والهدى، فهم لا يهتدون إلى الله وإلى التوحيد، ثم قال الهدد متعجباً: أيسجدون للشمس! ولا يسجدون لله الخالق المدبر العظيم، الذي يعلم الخفايا والنوايا ويعلم كل مخبوء في العالم العلوي والسفلي، وهو رب العرش العظيم والمتفرد بالعظمة والجلال؟ وكان الهدد داعياً إلى الخير، وإلى عبادة الله وحده والسجود له.

هنا أراد الله لسليمان أن يتثبت من هذا النبأ الخطير الذي اهتزت له مشاعره، فكيف يكون في زمانه؟ ومن يسجد للشمس ويعبد غير الله، وهو الذي قد بعث بدعوة التوحيد والإيمان؟ ولهذا أراد أن يتثبت من الأمر فكتب كتاباً وأرسله مع الهدد، وطلب منه أن يأتيه بجوابه: {أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} (47)؛ ثم أخذ الهدد الكتاب وذهب إلى ملكة سبأ فرفرف فوق رأسها، ثم ألقى الكتاب في حضنها، وتحتى جانباً أدباً وامتنالاً. وعندما وصل الكتاب إلى الملكة تحيرت مما رأت وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب وفتحته وقرأته ووصفت الكتاب بأنه كريم لأنه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم، فعظمتها إجلالاً لسليمان عليه السلام أو لأنه مطبوع عليه بالخاتم، فكرامة الكتاب ختمه (48).

فلما علمت أن الأمر خطير، جمعت أمراءها ووزراءها، وكبار رجال دولتها لأنها شعرت أن هذا الكتاب لا يصدر إلا من ملك عظيم، له عزة ومنعة وسلطان وقالت: ما كنت لأبرم قضاء دون مشورتكم ورأيكم، وخاصة في هذه النازلة الكبرى، فراجعها الملاء بما يقر عينها، من إعلامهم إياها بالقوة والبأس، ثم سلموا الأمر إلى رأيها (49). "فأحست منهم الميل إلى الحرب، فشرعت تتبهم إلى خطئهم في التعجل في الحكم دون روية. وفي هذا الكلام خوف على قومها، وحيطة واستعظام لأمر سليمان عليه السلام، فقالت لهم: إني أخشى أن نحاربهم فلا نقدر عليهم فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه، ويخلص إلي واليكم الهلاك والدمار، وإن عادة الملوك إذا استولوا على بلدة قهراً، خربوها وأهانوا أشرافها بالأسر، وهذه عادتهم في كل بلد يدخلونها عنوة وإني سأبعث إليهم بهدية عظيمة، فإن قبل الهدية فهو رجل يريد الدنيا فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي صادق فاتبعوه، وقد كان النبي محمد عليه السلام يقبل الهدية ويثيب عليها، ولا يقبل الصدقة وكذلك سليمان عليه السلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وإنما جعلت بلقيس قبول الهدية أو ردها علامة على ما في نفسها لأنه قال لها في كتابه: {أَلَّا تَعْلَمُوْنَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ} وهذا لا تقبل فيه فدية ولا تؤخذ منهم هدية" (50).

"فلما جاء رسل بلقيس إلى سليمان بالهدية العظيمة، وكانت آنية من ذهب، فلم ينظر إليها بل أعرض عنها، وقال منكراً عليهم: أتصانعونني بالمال والهدية لأترككم على كفركم وشرككم فما أعطاني الله من النبوة، والملك والجنود، خير مما أعطاكم من زينة الدنيا، بل أنتم تفرحون بمثل هذه الهدية لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا. ثم قال لمن قدم الهدايا: ارجع إليهم بهديتهم، فسوف نأتيهم بجنود لا طاقة لهم بمقاتلتهم ولنخرجهم من مملكتهم أذلة صاغرين. فلما رجعت الهدايا إلى بلقيس عرفت أن هذا ما هو بملك، وليس لها قدرة على قتاله، فبعثت إليه إني قادمة مع أشراف قومي لأنظر ما أمرك، وما هذا الدين الذي تدعو إليه؟ فلما علم بقدمها طلب من يأتي بعرشها ليريه بعض الخوارق التي أجراها الله على يديه، والدالة على عظم ملكه وصدقه في دعوى النبوة. فقال رئيس الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلس الحكم، وإني على حملي قوي أمين على ما فيه من جواهر" (51). فقال له الرجل صاحب العلم أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك بصرك، أي: آتيك بلمح البصر قبل أن تفتح عينيك ثم تغمضها، وهذا غاية في الإسراع (52). فلما عابن سليمان ذلك ورآه مستقراً عنده قال: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي}. إنها معجزة أخرى لسليمان إذ كيف يأتي بهذا العرش، وقد خبأته في قصرها وعليه من الحراس ما شاء الله، وكيف له ذلك والمسافة بين بيت المقدس واليمن ليست بقصيرة. فما كان من سليمان عليه السلام إلا أن توجه بالشكر إلى ملك الملوك الذي هو غني عن العباد. ولما جيء سليمان - عليه السلام - بعرض بلقيس قبل قدومها أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته، هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس بعرشها؟ فأمرهم بتغيير بعض أوصافه وهيئته - كما يتتكر الإنسان حتى لا يعرف - لينظر هل تعرف أنه عرشها أم لا؛ فلما عرض عليها عرشها وقد غير ونكر وزيد فيه ونقص منه فكان فيها ثبات وعقل، ولها لب، ودهاء، وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها ولا أنه غيره لما رأت من آثاره و صفاته، وإن غير وبدل ونكر فقالت: {قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ} أي

يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذكاء والحزم ثم قال سليمان {وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنَ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} لقد أعطانا الله العلم والإسلام قبلها فنحن أسبق منها علماً وإسلاماً، ولقد منعها من عبادة الله وحده أنها كانت تعبد الشمس والقمر لسبب نشوئها بين قوم كافرين، وهذا كالأعتدار لعبادتها الشمس من دون الله.

"أمر سليمان عليه السلام الشياطين فبنوا لها قصراً عظيماً من القوارير، أي من زجاج وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه، فلما رأت القصر الذي هو أعظم من ملكها ظننته لجة ماء فشمرت عن ساقها ظناً منها أنه ماء؛ فما توهّمته ماء ليس بماء، إنما هو قصر أملس مصنوع من الزجاج الصافي. فلما عاينت تلك المعجزة قالت: أسلمت. وإنما اتخذ سليمان هذا القصر العظيم ليربها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما آتاه الله، وجلالة ما هو فيه، انقادت لأمر الله وعرفت أنه نبي كريم، وملك عظيم فأسلمت لله عز وجل" (53).

الموضع التاسع: النبي موسى عليه السلام وموقف أمه وأخته وامرأة فرعون.

قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا زَادُوهُ إِبْرَاهِيمَ وَجَعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً} (8) وَقَالَتْ امْرِأَةُ فِرْعَوْنَ قَرَّةٌ عَلَيْهَا لَأُبْنِيَ بِهَا وَلَأَجْعَلَ آيَةً عَلَيْهِمْ وَأَعْصِي أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ تُثْبِثُ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13) } [القصص: 7-18].

بعد ميلاد موسى عليه السلام خافت أمه عليه، لأن أتباع فرعون كانوا بالمرصاد لكل مولود ذكر، وهنا تتدخل الإرادة الإلهية، فيأتي الوحي إلى أم موسى عليه السلام "وكان وحي إلهام" (54) ويأمر بأن ترضعه، وتلقيه عند خوفها عليه في اليم، كما بشرها الوحي بأن موسى عليه السلام سيرجع إليها ويكون من المرسلين، فلا داعي لأن تخاف أو تحزن. وفي الآية لفظة عجيبة إلى الأخذ بالأسباب مع الثقة بالله تعالى، والتسليم لقضائه فقد أمر الله تعالى أم موسى أن تحافظ عليه وترضعه، ثم إذا خافت عليه الذبح تلقيه في اليم. ونهاها عن الخوف عليه من الذبح أو الغرق أو الموت جوعاً أو أي خوف آخر قد يتصور، كما نهاها عن الحزن عليه لفراقه، وبشرها بعودته ولقائه وإكرامه بالرسالة، أي: أنه هو النبي المنتظر الذي سيقضي على ملك فرعون.

ويسير المهد بموسى عليه السلام في حفظ الله ورعايته، حتى يصل إلى قصر فرعون، لتلقطه زوجة فرعون، التي كانت محرومة من الولد، فرغبت في الاحتفاظ به وتربيته، وتوسلت كي لا يقتله، فكان أن تربى موسى عليه السلام في قصر ألد أعدائه فرعون الذي أمر بقتل كل مولود ذكر؛ لكنها إرادة الله تعالى، وهو فوق كل شيء. "ولما كانت عاقبة موسى عليه السلام إهلاك فرعون وملته، عبر سبحانه وتعالى بلام العاقبة التي معناها التعليل، فقال تعالى: {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزْنًا} (55)؛ وذلك تهكماً بفرعون لحمقه وجهله، إذ إن العاقل - لا سيما المتحذلق - لا ينبغي أن يقدم على شيء حتى يعلم عاقبته، فكيف إذا كان هذا الإنسان يدعي أنه إله، كما فعل فرعون، ففي الآية تهكم بحمق فرعون وجهله، وبيان لكذب ادعائه، فلم ينفعه وزيره ولا جنوده، لذا ختمت الآية بقوله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}، "أي دأبهم تعدد الذنوب والضلال عن المقاصد؛" "فالخاطئ هو من تعدد ما لا ينبغي" (56)، "فلا بدع في أن يخطئوا في أن يربوا من ذبحوا أبناءهم من أجله، مع أنه من بني إسرائيل" (57).

ثم أكدت الآيات على كذب فرعون في ادعائه الألوهية، حيث وافق على طلب زوجته أن لا يقتل موسى عليه السلام، ولو كان إلهاً لعلم الغيب، أما وقد وافق فهو لا يعلم عاقبة فعلته، لذا قال تعالى: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}، أي: بعاقبة فعلتهم، وأدخل في الآية أتباعه الذين أطاعوه وصدقوه، {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الزخرف: 54]، "أما أم موسى عليه السلام فقد طغت عليها مشاعر الأمومة الفطرية، وكادت من شدة حزنها عليه أن تظهر أنه ذهب لها ولد وتخبر بحالها لولا أن تداركتها عناية الله تعالى بالصبر والتثبيت"⁽⁵⁸⁾.

ثم أرسلت أم موسى عليه السلام أخته لتقصي أثره وتتبع خبره، حتى وقفت عليه في قصر فرعون دون أن يشعروا بها {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}، "بل وهو في صفة الغفلة التي هي أبعد ما يكون عن صفات الإله"⁽⁵⁹⁾، ففيها تكذيب لفرعون وأتباعه. وكان من شأن الرضيع أن امتنع عن أخذ الحليب {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ}، وخشي آل فرعون عليه من الهلاك، فتدخلت أخت موسى عليه السلام دون أن تُعرف عن نفسها وقالت لهم: إنها تعرف أهل بيت لا يُرفض حليبهم، وإنها على استعداد أن تدلهم عليه، وهم لن يرفضوا لفرعون طلباً، فوافقوا على ذلك، وهكذا اجتمع شمل الأم بوليدها، وقرت عينها برؤيته. وهنا أيضاً دليل آخر على كذب فرعون في ادعائه الألوهية، حيث إن كل ما تقدم من القرائن يؤكد أن هذا الرضيع من بني إسرائيل، ويجعله موضع الريبة والشك، حيث كان ملقى في البحر، والتقط منه، والتي دلته على المرضعة من بني إسرائيل، والمرأة التي سترضعه من بني إسرائيل، وقد قبل ثديها دون غيرها من القبط، فلو علم شيئاً لتخلص منه. ولكنها إرادة الله تعالى، ولذا قال تعالى: {فَرَدَدْنَاهُ}، "أي: مع هذا الكشف لسره الموجب للريبة في أمره، فعدوه في كفالته، وهو يقتل العالم لأجله"⁽⁶⁰⁾. "وهذا كله مصداق لوعده الله تعالى، فهو الحق وقوله الحق ووعده الحق، {وَلِتَعْلَمَ} علم اليقين {أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} واقع، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}، فكثير من آل فرعون ومن الناس لا يعون هذه الحقائق، وفيها تأكيد لما تقدم من كذب فرعون في ادعائه الإلهية. وهكذا أبدل الله تعالى أم موسى من بعد خوفها أمناً، في عزّ وجه ورزق مستمر"⁽⁶¹⁾. "وفي قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} والآية من الاحتباك: حيث ذكر الإرضاع أولاً دليلاً على تركه ثانياً، ونكر الخوف ثانياً دليلاً على الأمن أولاً"⁽⁶²⁾. وفي الآية أيضاً بلاغة عالية أخرى، حيث جمع في آية واحدة خبرين، وأمرين، ونهيين وبشارتين. فالخبران هما {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ}، وقوله تعالى: {فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ}، لأنه يشعر أنها ستخاف عليه. والأمران هما: {أَرْضِعِيهِ} و{فَأَلْقِيهِ}. والنهيان: {وَلَا تَخَافِي} و{وَلَا تَحْزَنِي} والبشارتان {رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}⁽⁶³⁾.

الموضع العاشر: النبي موسى عليه السلام وابنتا مدين.

قال تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نُسْقِيكَ حَتَّىٰ يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ جِجَاقٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27)} [النقص: 23-27].

"وهدى الله سبحانه وتعالى عبده موسى عليه السلام إلى طريق مدين بعد توجهه إليها، فنجاً من فرعون وجنوده، حتى وصل إلى مكان الماء الذي يسقي منه أهل مدين لأنفسهم وأنعامهم، فشاهد منظراً لفت انتباهه، فبينما تراحم الرعاء على الماء كلهم يريد أن يسقي أنعامه إذا بامرأتين "تدودان" (64) وتبعدان أغنامهما عن السقي، وقيل: تمنعان غنمهما أن تختلط بأغنام الناس" (65)، "فسألها عن حالهما، فأجابتاها بعذر المرأة المحتشمة {لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} فالسبب كونهما امرأتين فلم ترغباً في مزاحمة الرجال، أو لم تتمكنوا من مزاحمة الرجال لضعفهم" (66)، وقد اضطررتا لسقي الماشية لأن أباهما شيخ كبير لم يعد يستطيع ذلك.

فقام موسى عليه السلام - بشهامته المعهودة - في السقي لهما، ثم جلس في ظل ليستريح، وقام بمناجاة ربه الذي أكرمه وتعهده منذ ولادته قائلاً {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}. فاستجاب الله دعاءه، وهياً له الرجل الصالح ليستضيفه شكراً على مساعدة ابنتيه، ثم هياً الله تعالى له عملاً ومأوى وطعاماً وزوجة، وكل هذا لدى رجل من الصالحين، وكل هذا بطلب من الرجل، وليس بطلب من موسى عليه السلام؛ وذلك بأن أتت إليه إحدى المرأتين، تمشي على استحياء يزينها ويدفع عنها سوء الظن ووساوس الشيطان، فنقول له في تأدب ووضوح: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا}، "لم تطلبه طلباً مطلقاً لئلا يوهم ريبة" (67)، فالدعوة صادرة من أبيها، والغرض منها مجازاته ومكافأته على ما قام به من مساعدة المرأتين في السقي.

قص موسى عليه السلام قصصه على الرجل الصالح، فبشره بالأمان والنجاة من أتباع فرعون الظالمين. وهنا نتحدث إحدى المرأتين إلى أبيها كي يستأجر موسى عليه السلام للعمل في السقي، معللة ذلك بحكمة سارت مثلاً: {إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}، وهذا كلام حكيم، فلا خير في قوة بلا أمانة، ولا كبير فائدة من أمانة بلا قوة، وقولها كلام حكيم جامع لأنه إذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر فقد تم المقصود" (68)، وصاحبة موسى حين قالت: {يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} (69). ومما يدل على أمانته أنه "أمرها أن تمشي خلفه، وغض عنها بصره" (70). وقد وصف القرآن الكريم موسى عليه السلام بالأمانة، فقال على لسانه مخاطباً فرعون: {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ أَنْ أَدْأُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الدخان: 17 - 18].

تتوالى نعم الله تعالى على موسى عليه السلام، حيث يعرض عليه الرجل الصالح أن يتزوج ابنتيه الموجودتين أمامه، ليس مقابل المال الذي لا يملكه الفقير إلى ربه - موسى عليه السلام - وإنما مقابل العمل أحياناً عنده لمدة ثمانية أعوام، أو عشرة أعوام إذا أراد الإكرام (71)، دون مشقة منه في العمل أو المدة على موسى عليه السلام، مع التأكيد على التساهل معه بقوله: {سَنَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}. وافق موسى عليه السلام على هذا الشرط، وجعل الأمر بينهما على التساهل والتراضي، مع التأكيد على حق موسى عليه السلام في قضاء أي من الأجلين دون تبعية عليه في ذلك.

الموضع الحادي عشر: النبي ﷺ مع زوجاته رضوان الله عليهن أجمعين، وتخيره لهن أن يطلقهن أو يبقيهن معه بشروط. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (29)} [الأحزاب: 28-29].

"يأمر الله تبارك وتعالى رسوله (ص) بأن يخبر نساءه اللاتي اجتمعن عليه يطلبن منه زيادة النفقة، بين أن يفارقهن دون ضرر أو إيذاء فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن - رضي الله عنهن وأرضاهن - الله ورسوله وما أعد الله لهن في الدار الآخرة، فجمع الله

تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة⁽⁷²⁾. "وفيما خيرهن فيه الرسول (ص) قولان: أحدهما: أنه يخيرهن بين الطلاق والمقام معه، هذا قول عائشة رضي الله تعالى عنها. والثاني: أنه خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن أو اختيار الآخرة فيمسكنهن ولم يخيرهن في الطلاق. وفي سبب تخيره إياهن ثلاثة أقوال: أحدهما؛ أنهن سألته زيادة النفقة، والثاني؛ أنهن آذينه بالغيرة، والقولان مشهوران في التفسير، والثالث؛ أنه خُير بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختر الآخرة، فأمر بتخيير نسائه ليكن على مثل حاله"⁽⁷³⁾.

"ذلك أنه لما نصر الله نبيه (ص) وفرق عنه الأحزاب، وفتح عليه قريظة، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وطلبن منه أمراً لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات. وروي أيضاً أن بعضهن سألته أشياء من زينة الدنيا، وقلن: يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل والإماء والخول (الخدم)، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق. يعني أن أردن شيئاً من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة، فغم النبي (ص) وآمن قلبه بمطالبهن له بتوسيع الحياة، وقد بلغ الأسى برسول الله (ص) من مطالبة نسائه له بالنفقة وبسط الحياة مبلغاً كبيراً أدى لأن يعتزلهن شهراً، وأزواج النبي (ص) آنذاك تسع: عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وصفية الخيرية وميمونة الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث⁽⁷⁴⁾، رضي الله عنهن. "فنزّل رسول الله (ص) فعرض الآية عليهن فبدأ بعائشة فاخترت الله ورسوله، ثم قالت: يا رسول الله لا تخبر أزواجك أنني اخترتك، فقال: إن الله بعثني مبلغاً ولم يبعثني متعتاً"⁽⁷⁵⁾. "وقيل أيضاً: إن هذه الآية متصلة بمعنى ما تقدم من المنع من إيذاء النبي (ص)، وكان قد تأذى النبي (ص) من زواجه"⁽⁷⁶⁾.

الموضع الثاني عشر: الأمر بالحجاب لزوجات النبي ﷺ وبناته ونساء المؤمنين.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب، 59].

"كانت المدينة ضيقة المنازل، وكان النساء إذا كان الليل خرجن، فقضين الحاجة، وكان فساق من فساق المدينة يخرجون فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا: هذه حرة، فتركوها، وإذا رأوا المرأة بغير جلباب قالوا: هذه أمة، فكانوا يراودونها؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية⁽⁷⁷⁾. وقد نهى الله تعالى عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات، فأمر المؤمنات باجتناب أسباب الأذى ومواطن التهم بفرض الحجاب عليهن عند الخروج كي لا يتعرض لهن الفساق من الناس، وفي ذلك حصانة لهن وطهر ومنع من وصول الأذى إليهن. وأما سبب تخصيص النهي عن إيذاء النساء هنا فلعل سببه ما قاله الرازي: "ولما كان الإيذاء القولي مختصاً بالذكر فقد اختص بالذكر ما هو سبب الإيذاء القولي وهو النساء؛ فإن ذكرهن بالسوء يؤدي الرجال والنساء. بخلاف ذكر الرجال فإن من ذكر امرأة بالسوء تأذت وتأذى أقاربها أكثر من تأذيها، ومن ذكر رجلاً بالسوء تأذى ولا يتأذى نساؤه"⁽⁷⁸⁾.

وتعد هذه الآية الكريمة من أهم آيات الأحكام المتعلقة بحجاب المرأة المسلمة، وهي عنوان لحشمة النساء وتبيان لعل فرض الحجاب عليهن بأنه الحفاظ عليهن من الفسقة المعتدين، ومعناها: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن يرخين ويُسدّلن جلابيبهن. والجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو "الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل، وقيل: الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره"⁽⁷⁹⁾، وقيل: "إنه الثوب الذي يستر جميع البدن"⁽⁸⁰⁾. ذلك أقرب أن يميزن بالستر والصيانة وأن يعرفن بأنهن حرائر، فلا يُتعرّض لهن بمكروه أو أذى، وهذا هو علة الأمر بالحجاب. "وكان الله غفوراً رحيماً حيث غفر لكم ما سلف من عدم إدنائهن من جلابيبهن، ورحمكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام"⁽⁸¹⁾.

"والإدناء: التقريب وضمن معنى الإرخاء والإسدال"، "وقد اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهن الله به"⁽⁸²⁾، "كما اختلف الناس في صورة إدنائها"⁽⁸³⁾. وأياً كان الأمر فالأمة مجمعة على وجوب أن تغطي المرأة شعرها ورأسها. أما الأمر بأغطية الوجه فقد اختلفوا فيه، وهذا مبني على اختلافهم في معنى الزينة التي يجب على المرأة أن تسترها في قوله تعالى: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} هل وجه المرأة عورة أم لا؟ والقول معلوم أن للعلماء رأيين في هذا المجال: رأي يوجب تغطية البدن جميعاً مع الوجه والكفين، ورأي آخر يوجب تغطية البدن كله ما عدا الوجه والكفين، وكلا الرأيين حق.

"وقد دخل نسوة من بني تميم على عائشة رضي الله عنها عليهن ثياب رقاق، فقالت عائشة: إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتنعن به. وأدخلت امرأة عروس على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار قبطي معصر فلما رأتها قالت: لم تؤمن بسورة النور امرأة تلبس هذا"⁽⁸⁴⁾.

الموضع الثالث عشر: بشاراة الملائكة لسارة زوج النبي إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَهِ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30) } [الذاريات: 29-30].

"لما سمعت سارة بشاراة الملائكة لإبراهيم عليه السلام بولدها منها صاحت صيحة وضربت وجهها تعجباً من هذه البشارة، وقالت: كيف أنجب ولداً وأنا كبيرة وعقيم لا ألد؟ قالت لها الملائكة: هكذا قال ربك وقدّر ذلك، وهو على كل شيء قدير، وحكيم في تدبيره، عليم بمصالح الناس"⁽⁸⁵⁾.

الموضع الرابع عشر: إفشاء سر الزوجية وعواقبه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) } [التحریم، 1-2].

"يأتي في سبب نزول هذه الآية، أن النبي ﷺ كان يشرب عسلاً عند السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها ويمكث عندها، فانفق كل من السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما على أنه إن دخل الرسول ﷺ عليهما أن يقولوا له: أكلت مغاير؟ إني أجد منك ريح "مغاير"⁽⁸⁶⁾. قال: ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحداً، فنزلت، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ} إلى {إِنْ تَوَلَّيْنَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}⁽⁸⁷⁾.

وفي هذا المقطع نجد العتاب بدأ بوصف النبوة وفيه من التشويق والتطمين على أن ما يذكر بعد لا يؤثر على مقامه العالي فهو النبي المكرم ﷺ. ثم يأتي العتاب في صيغة سؤال تطف {لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} ثم ذكر السبب الدافع للتحريم {تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ}.

وهذا السبب غير معتبر في الامتناع وليس فيه مصلحة عامة ولا خاصة لأنه مبني على الغيرة بين الأزواج ولا اعتبار لها في التشريع. وكعادة القرآن الكريم في التركيز على جوانب معينة على الأحداث مما له شأن في التوجيه والتربية، نجد أنه أهمل الحديث عن الشيء الذي حرمه رسول الله ﷺ على نفسه، كما أهمل ذكر الشيء الذي أسره إلى بعض أزواجه، ولم يتحدث عن جوانب الحديث الذي عرف به والجانب الذي أعرض عنه، إنما كان التركيز على إيداع السر وإفشاءه وإطلاع رسول الله ﷺ على ذلك وكشف جوانب منه، ولم يستقص ترفقاً وتكريماً وإبقاءً. وكل ما ذكر هي عظات وعبر ومنطلقات للتوجيه والتربية، كما يتضح في هذه الآيات الكريمة، قال تعالى: {وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأُظْهِرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ

وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضِ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثِيَابًا وَأَبْكَارًا (5) [التحریم، 3-5].

ثم يفتح باب التوبة للمتظاهرتين اللتين كانتا السبب المباشر في امتناع رسول الله ﷺ عن شرب العسل عند زينب بنت جحش رضي الله عنها، وكان شيئاً يحبه رسول الله ﷺ. فعندما اتفقتا على حرمان رسول الله ﷺ من ذلك، فقد مالت قلوبهما إلى ما يكره رسول الله ﷺ وهذا الميل كاف لأن يوجه إليهما الإنذار والوعيد الشديد، فإن تابتا غفر الله لهما، وإن استمرتا على موقفهما من الإصرار على ما يكره رسول الله ﷺ، فإن الله ناصره.

ولم يكنف بالإنذار والوعيد للمتظاهرتين بالعقوبة الآجلة، بل جاء الوعيد بعقوبة عاجلة وهي الطلاق والاستبدال بهن خيراً منهن في الصفات الخلقية والخلقية، ولا شك أن من أعظم المصائب على المرأة وأشدّها أثراً على نفسها إخراجها من عش الزوجية التي بنت لبناته من عواطفها، ونسجت خيوطها من ذكرياتها، وأشد من ذلك أن ترى أن غيرها حلت محلها في قلب زوجها واستمتعت بما كانت تعتبره من مملكتها الخاصة. ومن خلال التهديد بالاستبدال بهن أزواجاً خيراً منهن أن تأتي الصفات التي كانت سبب الخيرة فيهن: فهن مستلمات لأوامر الله ورسوله، مؤمنات بما ينتظر المطيعات لأمر رسول الله ﷺ من المثوبة في الآخرة، مما جعلتهن يلتزم الطاعة، وإن بدر منهن شيء ووقع في التقصير، تُبْنَ إلى الله ورسوله وَنِدْمْنَ على ما وقع منهن، وعُذْنَ إلى عبادته وهجرن المخالفات والتقصير والتزمن النهج السوي. هذه صفاتهن المعنوية وأخلاقهن، وزيادة في تكريم رسوله سيكون منهنّ البكر والثيب فالبكر تتحبب إلى الزوج، والثيب أوسع خبرة في خدمة الزوج وتوفير الراحة له.

المطلب الثاني: أهم القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية في المواضع التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع الأول:

- إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لا يختار للنبوة والرسالة والتبشير إلا من الصالحين وذريتهم، لما علم من أحوالهم الموجبة لذلك فضلاً منه وكرماً، ولذلك فمن الفائدة والحكمة في قصصه علينا من أخبار هؤلاء الأصفاء أن نحبهم ونقتدي بهم.
- العمل الصالح وحده لا يكفي وإنما يجب أن يصاحبه الرجاء في القبول، فهذه امرأة عمران مع تقديمها أغلى ما لديها لخدمة بيت المقدس تسأل الله تعالى في أدب ورجاء أن يتقبله منها.
- الاعتذار عن الخطأ أمر مستحب، حتى في حالة كون الخطأ غير مقصود أو خارج عن حدود المقدرة والاستطاعة، فقد اعتذرت امرأة عمران عن كون مولودها أنثى، مع كون الله تعالى هو من قدر عليها.
- الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا بجنس المولود والإيمان بأن الله عالم بكل شيء.
- "لا خلاف في وجود فارق خلقي بين الرجل والمرأة، وأنهما لا يستويان في ذلك، ولكن هذا لا يعني إطلاقاً تفضيل الرجل على المرأة، فمريم عليها السلام كانت خيراً لأُمها من الذكر الذي أرادتة"⁽⁸⁸⁾.
- الحرص على صلاح الذرية، فقد أثرت امرأة عمران صلاح وليدها بتقديمه لخدمة بيت المقدس على حاجتها له.
- دعاء الأم لأولادها وذريتهم لحفظهم من الشيطان حتى قبل ولادتهم، وسيلة مشروعة لحفظ الأبناء من الشيطان الرجيم فقد دعت زوجة عمران لمريم ولذريتها أن يعيذهم الله من الشيطان الرجيم.

- الإخلاص في العمل والرغبة والرجاء في قبوله؛ أدعى لقبوله، فإله عز وجل يتقبل الدعاء والعمل من العبد الصالح المخلص، فرب العالمين تقبل مريم بقبول حسن لرغبة والدتها الصادقة {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ} [آل عمران:37].
- إذا رزق الله مريم شيئاً فسئلت عنه قالت: {هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران:37]، وهكذا يجب أن يكون المؤمنون يعترفون بفضل الله ونعمه، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، فإله عز وجل يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقه، بغير إحصاء حساب.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع الثاني:

- الاصطفاء يكون على أساس الإيمان والعمل الصالح، يصحبه توفيق من الله تعالى وتأييد وتحقيق نصر، والصالح والتقوى والاستقامة على أمر الله تعالى ومنهجه تؤهل الإنسان ليكون موضع رضا الله تعالى واختياره وتقضيله.
- شكر الله تعالى على نعمه إنما يكون بالمداومة على العمل الصالح والاستزادة منه، فقد بشرت الملائكة مريم عليها السلام باصطفاء الله تعالى، وأرشدتها إلى الاستمرار في العمل الصالح والقنوت لله تعالى والصلاة.
- عدم الاعتراض على أمر قد قدره الله تعالى، وإنما على المؤمن التسليم والرضوخ لمقدرات الله تعالى مع كامل الرضا، والثقة في الله سبحانه.
- إن البشارة لها أثر طيب في النفس، فالملائكة لم تبلغ مريم عليها السلام بخلق عيسى عليه السلام على كونه أمر لله تعالى، إنما بشارة لها هذا الأمر الذي فيه الخير الكثير لها وله ولأمته.
- ذكر الثمرات المرجوة من فعل الأمر؛ وتوضيح النتائج المتحققة بحصوله؛ يساعد على الترغيب فيه.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع الثالث:

- من آداب الإسلام: كرم الضيافة، والابتداء بالسلام على الآخرين فقد اهتم القرآن بتعليم وبيان وسائل إكرام الضيف، وكيفية استقباله.
- ملازمة الدين وتقوى الله تعالى هما أساس السعادة في الدنيا والآخرة.
- رقة القلب والحلم والمجادلة بالتي هي أحسن، من صفات الداعية المسلم/المسلمة.
- استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع الرابع:

- التمكين والنصر لا يكونان إلا لعباد الله الصالحين، المخلصين له تعالى.
- تقوى الله والخوف من عذابه حاجز يحجب النفس عن الحرام.
- فضل العفة وذم الهوى، فقد كان جزاء عفة يوسف عليه السلام إظهار براءة ساحته.
- وجوب حسن الإفادة والإكرام لمن تحت أيدينا من أبناء أو خدم.
- المعروف والإحسان يجب أن يكافأ بالمثل، وعدم الخيانة لمن أكرمنا وائتمنا على ماله أو عرضه.
- التحذير من الخلوة من غير المحارم، فهي من خطوات الشيطان المفضية إلى الحرام، والحذر أيضاً من المحبة التي يخشى ضررها، فامرأة العزيز جرى منها ما جرى بسبب حبها الشديد ليوسف، الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، فلما لم يستجب سجن بسببها مدة طويلة.

- استحباب الستر على الذنوب، وعدم إشاعتها أو الخوض فيها، لا سيما في القضايا التي تمس الأعراض.
 - شريعة دفاع المتهم عن نفسه، ولو كان فيه ما يسيء إلى خصمه.
 - من دخل الإيمان قلبه، وكان مخلصاً لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه، وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه.
 - إذا حل بالمسلم البلاء وصبر فإن معية الله سبحانه تكون معه، فيأتيه الفرج والنصر والتمكين.
- القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع الخامس:**

- أهمية العدل، وتحري الحكم الصائب، بتتبع الدلائل والبحث عن الحقائق، وشمول النظر.
- الشاهد مؤتمن، يجب عليه أن يؤدي أمانته بالصدق في شهادته، فقد أجبى النساء عن سؤال الملك بقولهن: {خَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} [يوسف: 51].
- الاعتراف بالحق من الفضائل، وقد أقرت امرأة العزيز بفعلها واعترفت به أمام الملك،
- النفس تأمر صاحبها بالسوء، وتدفعه إلى فعل السيئات، وارتكاب المحرمات، لذلك على الإنسان الحرص على نفسه وإصلاحها وعدم اتباع الهوى.
- إذا ابتلى الله عبده فوجده صابراً، جعل الله له من بلائه مخرجاً، فلما أراد الله تعالى أن يخرج يوسف من السجن، أرى الله تعالى الملك هذه الرؤيا العجيبة.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع السادس:

- التركيز على الصلاة والزكاة، فهما من الفرائض المهمة في حياة الإنسان .
- وجوب الالتجاء إلى الله تعالى، والاستعاذة به، واللجوء إليه في طلب الخير، أو رجاء دفع السوء، فهو القادر وحده و لا أحد سواه.
- إن التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب فريضة إيمانية، وضرورة حياتية، فقد أمرت مريم عليها السلام بهز جذع النخلة؛ ليتساقط عليها الرطب، مع قدرة الله على إسقاطه إليها دون فعل منها.
- وجوب المحافظة على الصلاة، فهي طهارة للأرواح، والمداومة على الزكاة، ففيها طهارة للأموال.
- وجوب البر بالوالدين بطاعتهم، والحنان عليهما، والقيام على أمورهما، لا سيما بعد كبر سنهما.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع السابع:

- إن في ما أوحاه الله تعالى إلى أم موسى من وضعه في التابوت وقذفه في اليم، تعليماً للعباد أن يعتقدوا بأن عاقبة ما أمر الله به خير لهم، إن لم يتبين ذلك في أول الأمر، وهو أيضاً حث للعباد أن يتوكلوا على الله بعد أن يتخذوا لذلك ما تيسر له من أسباب، ويتركوا الأمر من بعد الله تعالى.
- قرة عين الأم في القرب من أبنائها، ورعايتهم، فلا يحصل لها الاطمئنان ولا الفرح إلا معهم وبينهم.
- على الأخت أن تكون عوناً لوالدتها على القيام بأمر أولادها الذين هم إخوتها وأخواتها، تساعد على تربيتهن والعناية بهن وتفقد حاجاتهم، كما فعلت أخت موسى - عليه السلام - مع أخاها.

- وجوب الإيمان والتصديق بوعد الله سبحانه تعالى، والثقة به عز وجل - فهو تبارك وتعالى عند ظن عبده به، فقد ألقت أم موسى - عليه السلام - ابنها في اليم، مع ما يحمله فعلها من مخاطر على ابنها؛ ثقةً بالله تعالى وطاعة له وإيماناً به.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع الثامن:

- الحث على التواضع والافتقار لله تعالى قصداً.
- فضيلة ملكة سباً ومساقتها إلى الإسلام فور ظهور الدلائل والبيانات، وهكذا يجب أن يكون شأن المنصف العاقل.
- التحذير من غواية الشيطان وإضلاله، فهو السبب في صدى الناس عن عبادة الله تعالى وتوحيده.
- تفضيل الأنثى للمسالمة والمخادعة على الحرب واستخدام القوة، فمع أن قوم سبأ أكدوا لملكهم قوتهم وقدرتهم على خوض الحرب مع سليمان إلا أنها فضلت مخادعته بإرسال الهدايا إليه استجلاباً لودعه، وامتحاناً لملكه.
- للهدية مكانة في تأليف القلوب، لذلك فقد أرسلت بلقيس الهدايا الثمينة إلى سليمان وقومه.
- شكر النعمة له أثر في استئصالها وزيادتها، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم، 7].

- اللباس الطويل الساتر من أدب النساء منذ أقدم الأزمان والعصور.
- وجوب التحقق والتبين من صدق الأخبار.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع التاسع:

- وجوب الثقة بالله تعالى، والإيمان بتحقيقه سبحانه لوعوده التي وعد بها عباده المؤمنين.
- قرة عين الأم وفرحتها، لا تتحقق إلا بقربها من أبنائها، ووجودها معهم وبينهم.
- وجوب الأخذ بالأسباب حيث أمر الله تعالى أم موسى عليه السلام أن ترضعه وتحافظ عليه، حتى إذا خافت عليه ألقته في اليم، لترعاه عناية الله تعالى.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع العاشر:

- "جواز مباشرة المرأة الأعمال والسعي في طرق المعيشة، مع الستر والحياء" (89).
- "في الآيات دليل على أن شكوى الضرر إلى الله تعالى مباحة" (90)، وسؤاله الغوث جائز.
- "جواز عرض الرجل مولاته على من يتزوجها رغبة في صلاحه" (91).
- "في القصة دليل على أن من تطوع بعمل لآخر فعليه أن يعطيه أجراً على سبيل المروءة وحسن الخلق لا على سبيل الفرض، إلا أن يمتنع من أخذه" (92).
- "جواز أمور منها: ولاية الأب في النكاح، وجعل العمل البدني مهراً، وجمع النكاح والإجارة في عقد واحد، ومشروعية الإجارة" (93).
- مشروعية عمل المرأة خارج بيتها، إذا لم تجد من يقوم بها نيابة عنها، ما لم تخش على دينها، وما دام العمل مباحاً ومتمقاً مع فطرتها، فقد عللت ابنتا شيخ مدين خروجهما لسقي مواشيهما؛ بسبب كبر سن والدهما وعجزه عن القيام بهذا العمل.

- ضعف المرأة الجسدي - الذي هو من خصائصها - لا يؤهلها لمزاحمة الرجال، فقد كانت الفتاتان تحبسان غنمهما حتى يفرغ الرجال من سقى أغنامهم.

- قيمة الحياء والعفة، فقد امتدح القرآن الكريم هذه الصفة في الفتاة وخصها بالذكر في عرض القصة.

- تجنب الاختلاط حتى في أماكن العمل، إذ هو مدخل من مداخل الشيطان، وباب من أبواب الفساد.

- وجوب مساعدة الضعفاء في المجتمع، والرحمة بهم، وإعانتهم.

- على المؤمن أن يظهر افتقاره وضعفه وحاجته لله تعالى، والتماس العون منه سبحانه وتعالى.

- أن يسلك المؤمن سبل العفة في جميع أعماله وأقواله.

- الوضوح في الخطاب مع الرجل غير المحرم، وإيضاح المقاصد، فلم تكتف الفتاة بدعوة موسى - عليه السلام - للقاء والدها، بل بررت سبب دعوته إياه برغبته في مجازاته على إعانتته لهما لأن المعروف لا يكافئ إلا بمثله أو أحسن منه.

- تربية الأبناء والبنات على الصدق والصراحة مع والديهم.

- إسناد العمل إلى من يؤتمن عليه متى وجد، أفضل من قيام المرأة به.

- الوضوح وعدم الغموض في العقود بين المؤمنين، مع وجوب الوفاء بها.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع الحادي عشر:

- إن المرأة مأمورة ألا تخرج من بيتها إلا لحاجة كقضاء حاجة أو عمل ضروري، وعليها أن تخرج محتشمة بحجاب العفة والطهر.

- أمر الله تعالى أمهات المؤمنين بوجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، لأن الصلاة عماد الدين، وأما الزكاة فهي عبادة مالية تطهر النفس من الشح والمجتمع من الفقر.

- إن الله عز وجل يخوف عباده بعدم الاقتراب من المعاصي والذنوب لأن في ذلك عذاباً أليماً، ولا يمنع القرب من النبي ﷺ مرتكب الذنب من أن يناله العقاب حتى ولو كن زوجاته، بل العقوبة للأقرب تكون مضاعفة. وهذا من عدل الله تعالى.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع الثاني عشر:

- إن الحجاب حصانة للمرأة ونور يغطيها، وهو من شعائر الإسلام، يميز المرأة المسلمة عن غيرها أينما كانت، فلا بد من الالتزام به وحث المرأة عليه.

- إظهار علة الأمر والتكليف في الخطاب أدعى لامتناله، وأرغب للنفس في تطبيقه.

- أدى ترك الحجاب في مجتمعاتنا إلى مفاصد عظيمة لكل من الرجال والنساء.

- "إن الحجاب مناسب لفطرة المرأة، لأنها لا ترغب في أن ينظر إلى جمالها الفسقة من الناس" (94) والحجاب سبب لدوام حب الزوج لزوجته التي لا تبدي زينتها إلا لزوجها، خلافاً للمرأة المتبرجة.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع الثالث عشر:

- إن قدرة الله لا حدود لها، كما أن قضاءه لا يتعلق بالأسباب، ولا تقف أمام مشيئته عوائق. فعلى المرأة الإيمان والرضا بقضاء الله وقدره في حالة العقم، والشكر والثناء على الله في كل الأحوال.

- إن التعجب من الأمر يكون عند انتفاء أسباب حصوله، وإزالة التعجب يكون بوضوح كيفية حدوثه.

القيم والتطبيقات والفوائد التربوية والحقوق الشرعية السامية للموضع الرابع عشر:

- للكلمة في الإسلام وزنٌ، فلا ينبغي أن تخرج من فم صاحبها إلا ويعرف مكانها في ميزان الشرع هي له أو عليه، وباب الاستغفار والإنابة مفتوح لمن أراد الرجوع عنها.

- قيام الحياة الزوجية على الثقة المتبادلة بين الزوجين، ومما يدعم هذه الثقة ويوطدها كتمان أحدهما لسر الآخر وعدم إفشائه. وعند وقوع ما يخدشها فيمكن إصلاحه بالعتاب الرقيق والمحاسبة الجزئية.

- الطلاق شديد الوقع على نفوس أهل البيت جميعاً، ولكن الطرف الأكبر تضرراً وتأثراً هي المرأة، فهي ترى في الطلاق هدماً لعش الزوجية الدافئ، وتدمير مملكتها، ومما يضاعف التأثير والإزعاج لها إذا علمت أن الأخرى ستحل محلها، وتكون خيراً منها وأقرب إلى قلب زوجها.

- خير الأزواج ما توافر فيهن الصفات المذكورة في الآية الكريمة {مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ}. فعندما هددت أمهات المؤمنين بالاستبدال بهنَّ غيرهنَّ خيراً منهنَّ جاء تفصيل الخيرية في الصفات السبع التي ذكرت في الآية، وكلها صفات تدل على المستوى الإيماني الرفيع والأخلاق النبيلة وإيثار الآخرة على الفانية، وكأنها تفصيل لما رغب فيه رسول الله، فعن النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: "تَتَكَحَّ النِّسَاءُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحُسْبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرُبِّتِ يَدَاكَ"⁽⁹⁵⁾.

التوصيات والمقترحات:

في ضوء ما تم التوصل إليه في هذه الدراسة توصي الباحثة وتقتصر الآتي:

- دعوة الطلاب والباحثين في إلى التوسع في دراسة خطاب المرأة في القرآن الكريم للخروج بمزيد من التوضيح لمواضعها ومدلولاتها.

- اجراء المزيد من الدراسات والابحاث في مجال الخطاب القرآني.

- اجراء دراسة لكل موضع من المواضع التي ذكر القرآن الكريم المرأة فيها على حدة.

- اجراء دراسة مقارنة بين الخطاب القرآني الخاص لأمهات المؤمنين والخطاب القرآني الخاص ببقية النساء.

- اجراء دراسة للتعرف إلى دور الخطاب القرآني في تعزيز مكانة المرأة المسلمة.

المراجع:

- (1) سورة النساء، الآية (1).
- (2) زين الدين قاسم ابن قطلوبغا الحنفي، غريب القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2012م.
- (3) سورة الأنبياء، الآية (10).
- (4) هالة حسني بيدس، وفاطمة محمد العليمات، خطاب المرأة اللغوي في القرآن الكريم، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (40)، العدد (2)، 2013.
- (5) سورة التوبة، الآية (71).
- (6) راشد الغنوشي، المرأة بين القرآن وواقع المسلمين، المركز المغاربي للبحوث والترجمة، لندن، بريطانيا، 2000م.
- (7) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت 745هـ)، تفسير البحر المحيط، حققه عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2001م، 453-452/2. إسماعيل بن عمرو بن كثير (701-774هـ)،

44. تفسير القرآن العظيم، حققه سامي بن محمد سلامة، المدينة المنورة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م، 43/2-
- (8) محمد بن جرير بن يزيد الطبري (224-310هـ)، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، حققه أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، بيروت، دار الفكر، ط2، 1405هـ، 326/1.
- (9) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، 326/6.
- (10) المرجع نفسه، 764/6.
- (11) برهان الدين أبو الحسن إبراهيم النقاوي (ت885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تنظيم عبدالرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ/1995م، 355/4.
- (12) شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، بعناية محب الدين خطيب، دمشق، دار الريان للتراث، 1407هـ/1986م، كتاب تفسير القرآن الكريم، تفسير سورة آل عمران، باب (وإنني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)، حديث (4548)، 60. والنووي، يحيى بن شرف بن مري (631-676هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ/1972م، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث (2366)، 506.
- (13) إسماعيل بن عمرو بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 46/2.
- (14) محمد بن إسماعيل البخاري (194-256هـ)، صحيح البخاري، حققه مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/1987م، كتاب مناقب الأنصار، باب: المعراج، حديث (3674)، 1411.
- (15) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، 353-356/6.
- (16) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} حديث (3253)، 1269.
- (17) عبدالرحمن بن ناصر السعدي (1307-1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق ابن عثيمين، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1421هـ، 77/2.
- (18) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، 382/15.
- (19) عبدالرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 275-279/1.
- (20) سيد قطب (1386هـ/1966م)، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط25، 1417هـ/1996م، 1912/4.
- (21) المرجع نفسه، 1913/4.
- (22) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، 17/16.
- (23) جمال الدين عبدالرحمن الجوزي (508-597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، ط4، 1407هـ/1987م، 197/4.
- (24) عبدالرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 288-290/1.
- (25) محمود عمر الزمخشري (ت548هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، 2178/1.

(26) هناك عدد من الأقوال حول برهان ربه، "قيل: أنه تمثل له يعقوب عاضاً على أصبعه، وقيل: رأى تمثال الملك، وقيل: رأى آية من آيات الله، زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة". محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 21/16.

(27) جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 205/4.

(28) عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 288/1.

(29) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 61/16.

(30) عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 290-288 / 1.

(31) علي بن أحمد الواحدي (ت 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، حققه صفوان عدنان داودي، دمشق، الدار الشامية، 1415هـ، 544/1.

(32) جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 220/4.

(33) عبد الرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 290-288 / 1.

(34) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 91/16.

(35) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 139/16.

(36) محمد بن أحمد القرطبي (ت 671هـ/1273م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، بيروت، الرسالة، 1427هـ/2006م، 178/9.

(37) إسماعيل بن عمرو بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 14/3، محمد بن يوسف بن حيان، تفسير البحر المحيط، 177/6.

(38) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 9/11.

(39) قرأ أبو عمرو وورش والحلواني عن نافع (لِيَهَبَ لَكَ) بالياء لأن الواهب هو الله عز وجل، وقرأ الباقر (لَاهَبَ لَكَ) لأن الواهب هو الله عز وجل، وجبريل عليه السلام أرسله ربه ليبشرها وليقوم بمهمة النفخ فيها لتتحقق هذه المعجزة بقدره الله عز وجل. يراجع عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (403هـ/1012م)، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت، الرسالة، 1402هـ/1982م، 44. ومحمد بن محمد بن الجزري (751-833 هـ)، النشر في القراءات العشر، بيروت، دار الكتب العربية، 1418هـ، 317/2.

(40) "وأطلق القذف هنا على الوضع في التابوت، تمثيلاً لهيئة المخفي عمله، فهو يسرع وضعه في يده كهيئة من يقذف حجراً ونحوه". محمد الفاضل بن محمد بن عاشور (1327-1390هـ)، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م، 216/61.

(41) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 162/16.

(42) {ولتصنع على عيني} أي تربي ويحسن إليك بمرأى مني وحفظ. وانظر محمد بن أحمد ابن جزي (693-741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق محمد بن عبد المنعم التونسي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1970م، 13/3.

(43) وهو ما ذكره الله تعالى بقوله: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} [القصص: 15].

(44) في هذه الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدد مع صغره، كيف لم يخف على سليمان حاله، فكيف بعظام الملك ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته، وقال: لو أن سلخه على شاطئ الفرات أخذها الذئب،

لسئل عنها عمر، فما ظنك بوالٍ تذهب على يده البلدان، وتضيع الرعية والرعيان. انظر محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 119/13.

(45) "في الآية دليل على أن الحد على قدر الذنب لا على قدر الجسد، أما أن يرفق بالمحدود في الزمان والصفة" انظر التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، 445/1.

(46) وفي هذه الآية دليل على أن الصغير يقول للكبير، والمتعلم للعالم، عندي ما ليس عندك إذا تحقق ذلك وتيقنه. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 122/13.

(47) "وفي هذه الآية: دليل على أن الإمام يجب أن يقبل عذر رعيته، ويدراً العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أحوالهم، لأن سليمان لم يعاقب الهدد حين اعتذر إليه، ولكنه لم يتسرع في قبول كلامه حتى امتحنه - إذ إن هذا الأمر من الأمور العظيمة التي ينبغي جهاده، ولكنه طلب منه أن يذهب بكتابه إليهم". التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، 447/1.

(48) ومن هنا اتفقوا على كتابة "بسم الله الرحمن الرحيم" في أول الكتب والرسائل وعلى ختمها ولأنه أبعد من الريبة، وعلى هذا جرى الرسم وبه جاء الأثر عن عمر بن الخطاب أنه قال: أيما كتاب لم يكن مختوماً فهو أغلف. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 129/13.

(49) وفي هذه الآية دليل على صحة المشاورة وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [أل عمران: 159]، وقد مدح الله الفضلاء بقوله: {وَأْمُرْهُمْ شُورَى} [الشورى: 38] والمشاورة من الأمر القديم وخاصة في الحرب، كما فعلت الملكة بلقيس". التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، 450/1.

(50) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 132/13.

(51) إسماعيل بن عمرو بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 123/3.

(52) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 136/13.

(53) إسماعيل بن عمرو بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 124/6.

(54) عبدالله بن وهب بن مسلم المصري (125-197هـ)، الجامع في الحديث لابن وهب، حققه ميكوش موراني، بيروت، دار المغرب الإسلامي، 2003م، 53-54، وعلي بن أحمد الواحدي (ت468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م، 390/3، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت510هـ)، تفسير البغوي (معالم التفسير)، تحقيق محمد عبد الله النمر، الرياض، دار طيبة، 1423هـ/2002م، 190/6.

(55) إسماعيل بن عمرو بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 297/6.

(56) بخلاف المخطئ، لأن الخطأ هو: ما لم يتعمد، ويقال لمن أراد الصواب، فصار إلى غيره، والخطأ: من تعمد لما لا ينبغي؛ ينظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مادة (خ ط أ).

(57) برهان الدين أبو الحسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 246-245/14.

(58) علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن (ت741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، بيروت، دار الفكر، د.ت، 399/3.

(59) برهان الدين أبو الحسن إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 249/14.

(60) برهان الدين أبو الحسن إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 251/14.

(61) إسماعيل بن عمرو بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 299/6.

(62) برهان الدين أبو الحسن إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 244/14.

- (63) أبو بكر محمد عبدالله العربي (543هـ)، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الفكر للطباعة، د.ت، 491/13، محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 252/13، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 74-75/20.
- (64) الذود: الشوق والطرْد والدفع. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، 287/2، مادة (ذ و د).
- (65) محمد بن عبد الله أبي زمنين (ت399هـ)، تفسير القرآن العزيز، حققه حسين عكاشة، القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط2، 1426هـ/2005م، 3/191.
- (66) الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، معالم التفسير، 2009/6م، أبو بكر محمد عبد الله العربي، أحكام القرآن، 493/3.
- (67) إسماعيل بن عمرو بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/304.
- (68) وهو كلام يجري مجرى المثل؛ انظر: محمد بن يوسف بن حيان، تفسير البحر المحيط، 114/7.
- (69) أبو عبد الله محمد بن سعد (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د.ت، 273/3، وأبو زيد عمر بن شبة النميري، (ت262هـ)، أخبار المدينة، تحقيق علي محمد دندل، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ/1996م، 1/355.
- (70) عبدالله بن وهب بن مسلم المصري، الجامع في الحديث لابن وهب، 9/1، علاء الدين علي بن محمد البغدادي (الخازن)، لباب التأويل في معاني التنزيل، 403.
- (71) سبب تعيين ثمانى حجج بقوله: وكان تعيين الثمانى لأنها - إذا أسقطت منها مدة الحمل - أقل سن يميز فيه الولد غالباً، والعشر أقل ما يمكن فيه البلوغ، لينظر الرجل الصالح سبطه إن قدر فيتوسم فيه بما يرى من قوله وفعله. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 14/271.
- (72) إسماعيل بن عمرو بن كثير، تفسير ابن كثير، 481/3، والقرني، التفسير الميسر، 767-768.
- (73) جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 6/377.
- (74) عبدالرحمن ناصر السعدي، تفسير الكريم الرحمن، 6/104.
- (75) جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 6/376.
- (76) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 106/14، ومحمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 314/20.
- (77) سيد قطب، في ظلال القرآن، 5/2879.
- (78) فخر الدين بن عمر الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، 198/25، وبرهان الدين أبو الحسن إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 6/135، ومحمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 22/104.
- (79) محمود عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 3/569.
- (80) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 14/243.
- (81) عائض القرني، التفسير الميسر، 775.
- (82) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، 22/46.
- (83) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (481-542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ/1993م، 4/3999.
- (84) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 14/244.
- (85) عائض القرني، التفسير الميسر، 494.

- (86) مغاير: بغين معجمة، وفاء بعدها ياء وراء، جمع مغفور بالضم كعصفور، صمغ حلو له رائحة كريهة، ينفحه شجر يقال له العرفط، بضم العين المهملة والفاء، يكون بالحجاز له رائحة كرائحة الخمر. انظر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) (544-606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1383هـ/1963م، 4/374.
- (87) وردت روايات أخرى في سبب النزول، انظر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 100/28، وعبدالرزاق بن همام الصنعاني (126-211هـ)، تفسير القرآن، تحقيق مصطفى مسلم محمد، الرياض، مكتبة الرشيد، 1410هـ/1990م، 2/302. ولكننا نقصر على ما ورد في الصحيح.
- (88) نخبة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، الشارقة، جامعة الشارقة، 1431هـ/2010م، 1/459.
- (89) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 101/20.
- (90) محمد بن علي الكرجي القصاب (ت 306هـ)، نكت القرآن الدالة على البيان، حققه إبراهيم بن منصور جنيدل، الدمام، ابن القيم، 1424هـ/2003م، 3/554.
- (91) أبو بكر محمد عبد الله العربي، أحكام القرآن، 494/3. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 106/20.
- (92) محمد بن علي الكرجي القصاب، نكت القرآن الدالة على البيان، 3/555.
- (93) أبو بكر محمد عبد الله العربي، أحكام القرآن، 494/3. ومحمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 101/20. ومحمد بن علي الكرجي القصاب، نكت القرآن الدالة على البيان، 3/561-562.
- (94) بديع الزمان نور الدين النورسي (1877-1960م)، اللغات، ترجمة محمد زاهد الملاز كردي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1405هـ/1985م، 303.
- (95) أبو داود سليمان السجستاني (202-275هـ)، سنن أبي داود، بيروت، دار الكتب العربي، د.ت، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من تزويج ذات الدين، حديث (2047)، 1011.